الحربية والبحرية . . .

فهلاّ تنظر حكوماتنا الشرقية ، وهلاّ يرى قادةُ الافكار منا الحاجة الى ترقية حال عمالنا والسهر على مصالحهم ، والذود عن حقوقهم فلا يبقوا في ايدي اصحاب العمل آلة مسيّرة ، حتى اذا ما ادّت الخدمة المطلوبة او تعطل سيرها طُرحت خارجاً

وسنأتي في العدد القادم على بعض ما يتعلق بالاعتصابات

كيف ترتقي

اللغة العربية

نشرنا في الجزء السابق ص ٣٤٣ القسم الاول من مقالة حضرة صاحب الامضاء وفيه لمحة عن حالة الآداب العربية في ايام الجاهلية وعلى عصر الخلفاء . وهذا هو القسم الثاني وفيه بحثٌ في الوسائل الواجب اتخاذها لترقية هذه اللغة :

ان ارتقاء آداب اللغة العربية يجب ان يتمّ بسلّمٍ ذات ثماني درجات ، لا غنى للواحدة عن الاخرى فيها ولا يمكن الوصول الى قمة نجاحها بغيرها وهي : الدولة والامة والمدارس والصحافة والتأليف والمجتمعات العلمية والمكاتب . واليك الكلام على كلٍّ منها باختصار

(١) الدولة — لا خفاء ان اللغة ترتقي بارتقاء الدولة فهي التي تذود عن حوضها وتحمي ذمارها . ومن يجهل نهضة العباسيين في الشرق ، والامويين في الاندلس ، والفاطميين في القاهرة ، والايوبيين في بلاد العرب . بل من يجهل نهضة الغربيين بحكوماتهم ، وتعزيزهم للغاتهم

باستخراج دفائن الكتب من الخزائن القديمة ونقلها الى لغاتهم ، وتقريب العلماء واجراء الرزق عليهم ، وارسال النسّاخ الى كل اقليم ينسخون ما فاتهم من المؤلفات حتى ملأوا المكاتب ورقوا آداب اللغة وعقدوا لذلك مجامع من علماء استقدموهم من أطراف مملكتهم . فهكذا ترقي الدولة آداب لغتها وترفع منار آدابها ، وتنشرها بين ظهراني الناطقين بها ، فتساعد المؤلفين وتمنحهم امتيازات لحفظ حقوق مؤلفاتهم استثماراً لها . فتكثر الرغبات في وضع المؤلفات العائدة على العربية بالنفع والمرقية لآدابها والناشرة للعلوم العصرية فيها . وطالما نرى عندنا ان زيداً يؤلف كتاباً فيغير بعض عباراته عمرو ويطبعه . أو انه ينسج على منواله مستعيناً باسلوبه ويزاحمه فيه . فعلى آداب العربية السلام وعلى اللغة العفاء . بل طالما نرى المدارس والمؤلفات لا نظام يوحّد مبادئها فلا أمل في احياء اللغة بيننا على هذه الخطة

(٢) **الهمة** — يجب ان تكون حريصة على لغتها شديدة الغيرة عليها . ومن سوء الحظ ان معظم المتعلمين عندنا والمعلمين ينظرون الى لغتهم شزراً . فكيف ينتظرون من الحكومة ان تساعدهم ؟ واذا لم يعتقد كلّ عربي انه من المعيب ان يتعلم الانسان اللغات الاعجمية وهو يجهل لغته ، فلا أمل في الاصلاح . ولربّ معترض يقول وما النفع من لغتنا العربية مع كساد بضاعتها ؟ فاقول لمثل هذا المعترض ان الناطق باللغة العربية لا يستغني ، مهما تيسرت له الذرائع خارج موطنه ، عن العودة اليه . فبأيّ لغة يخاطب قومه ويكاتبهم ويخطب فيهم ويفاوضهم ؟ واذا شاء كتابة شيء في موضوع واراد تعريبه فايّ لباس يلبسه وباي قالب يسكبه .

أليست اللغة العربية هي التي اوحت الى شاعرها ان يقول بلسانها :

كلامي عقارٌ عُتقت ثم رُوّقت وبعض كلام العارفين عصيرُ
اذا ظهرت يوماً بزاةُ خواطري فما لمصافير الطريق صفيرُ

وهي التي وصفها الآخر بقوله :

ذكرت فصغرها المذول جهالةً حتى بدت للناظرين فكبرا

(٣) المدارس — المدارس قديمة في العالم من زمن فلاسفة اليونان. ومن اقدم ما قام عند العرب منها « كلية القيروان » في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب في افريقية ، اسست في القرن التاسع للميلاد ونشرت العلم في اوربا ، ثم الجامع الازهر سنة ٣٥٩ هـ (٩٧٠ م) والمدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٣ م) ، فضلاً عن مدارس هرون الرشيد في بغداد والمدن الشرقية ومدارس الاندلس في قرطبة وغيرها من المغرب. ومدارسنا الحاضرة قلما تعتمد في تدريسها العلوم على اللغة العربية بل تدرّسها بالافرنجية وهذه ضربة قاضية باماتة اللغة وتوقيف نموها والاجهاز عليها ، لان اللغة اشبه بشجرة ، تقطع بعض فروعها ، وتنبت عساليج جديدة وتؤبر (تطعم) ليتم خصبها . فالأولى بنا ان ننقل العلوم العصرية على اختلافها الى لغتنا العربية فتتوسع اللغة الفاظاً وتكثر الاوضاع فيها ويشتد ازرها . وان قيل ان دون ذلك عقابات تعترضنا ، فقل ان المرء من مهدَ الموائق وذلل المصاعب . فهذه كتب مطبعة بولاق في اول عهدها ، وكتب المدرسة الكلية الاميركية في بيروت في بدء نشأتها ، شاهدٌ على سهولة التعريب ووضع الالفاظ للمسميات الغريبة في العلوم الطبية والرياضية

والطبيعية ، يساعدنا على ذلك الاشتقاق والنحت في العربية وهما من امتن دعائمها للمتأمل المحقق . وربما اعجزنا وضع كلمة عربية لمسمى افرنجي فيكفي ان نبقيه على اصله بعد تقريبه من الصيغ العربية كما فعل المعرّبون في عهد الدولة العباسية وما بعدها ، فأدخلوا الفاظاً كثيرة اغنت اللغة

(٤) الصحافة — ليست الصحافة بيننا بمتجاوزة اول القرن التاسع عشر الماضي وقد اخذت على نفسي البحث في تاريخها (بمجلة النعمة) الارثوذكسية في دمشق ونشرت الدور الاول منها من سنة ١٨٠٠ — ١٨٧٠ م وسأتابع البحث فيه والنظر في ما افادتنا الصحافة في ادوارها . وقد قدّرتُ ان ما أنشىء من الجرائد ، ـ ميتةً وحيةً ـ باللغة العربية حتى الان زهاء ثمانمائة جريدة . ولكن الجرائد الحية لا تكاد تتجاوز المائتين بين مجلة وجريدة في جميع اطراف المعمور . فهل افادتنا وتفيدنا الصحافة ؟

قال العلاّمة مكولي الانكليزي « ان كتّاب الجرائد هم مشتركوها » فاذا نظرنا الى حالة المشتركين بصحائفنا ، لا نستطيع ان نحكم بترقي الصحافة لقلة الرغبة في الجرائد ولعدم تمييز المفيد منها عن المضر . كيف لا ولن يزال تهجّم كتّابنا على فن الصحافة وليس لديهم رأس مال علمي ولا مادي كافٍ هو السبب الاولي في انحطاطها . وقلما اجتمع للصحافي المال والعلم معاً . فبانفراد احدهما تتحول الجرائد اما الى تجارية لتحصيل المال ، وإما الى اكتساب الشهرة للمتمول . وفي الامرين الغرور بالنفس فليس اذن من اغراضها الاولية خدمة الشعب واللغة . فضلاً عن ان كثيراً منها تصرف جلّ اهتمامها الى التحامل والتشيع وبث روح الشحناء

فتضيع الفائدة المنتظرة منها ، وتقلّ ثقة الشعب بها . اللهمّ الا بعض الجرائد التي اتخذت لها خطة معتدلة وتثبتت في رواية اخبارها ووضعت الصدق نصب اعينها . ولكنها قليلة لا تستطيع سدّ الثلم التي تخرقها تلك

واحسن دواء لذلك انشاء مدارس للصحافة ومؤتمرات لها تبحث في اسباب ترقيها كما هو جارٍ عند الامم الراقية . فتكون الجرائد صادقة المبادئ ومنشئوها ومراسلوها يوافقون مبادئها . فلا ينشئ مجلة او جريدة الاّ من ترشح لهذا الفن ردحاً من الزمن وعرف أصولهُ . وحبذا لو عرّب بعض ادبائنا اليوم كتاباً في فنّ الصحافة من كتب الافرنج . وان كنا نخسر فيه رواية غرامية تثير نقعاً وتمنع نفعاً . فيستلفت الانظار الى آداب الصحافة

(٥) المطابع — الطباعة حديثة عندنا لا تتجاوز القرنين والعقد الاول من الثالث . أما الافرنج فقد عرفوا الطباعة العربية على اثر اختراع المطبعة عندهم ، وطبعوا كثيراً من المؤلفات التي لن تزال الى اليوم نادرةً مرتبةً مفيدة . ومعظم مطابعنا الآن انشئت بعد النصف الثاني من القرن التاسع عشر الماضي وكثر عددها . ولكننا نرى معظمها تجارية ، تطبع الكتب دون مقابلة على اصلها ولا تدقيق باصلاحها ، فتخرج مشحونة بالاغلاط غير متقنة الطبع ولا الورق ولا الترتيب ، مع غلاء في اثمانها فلا يقبل الناس على ابتياعها فيدّعي واضعوها كساد بضاعة العلم

فما افضل الذرائع المتخذة لترخيص اثمان المطبوعات والاقتصاد بالحروف العربية ، لتروج الطباعة والكتب ويقبل الادباء على التأليف والناس على المطالعة . ومما اذكرهُ بأسف ان المرحوم الشاعر الناثر رزق الله

حسون الحلبي الذي نشرت ترجمته في مقتطف هذه السنة ، كتب مقالات ضافية ، استنسخت احداها وهي في الاقتصاد المطبعي باختصار بعض حروف ليقل عددها فيسهل العمل على المنضّد (الصفّيف) وترخص نفقات الطبع ، فلم يلبِّ دعوته أحد . ومثله فعل المرحوم العلاّمة الشيخ ابرهيم اليازجي في وضع الحروف الاقتصادية ، قبل مغادرته سوريا وانتقاله الى مصر والحرف باقٍ في مطبعة خليل افندي سركيس الأدبية لم ينضَّد منه الا صورة اعلان في الجرائد على اثر وضعه ، وشروح « نجعة الرائد » التي طبعت اولاً في تلك المطبعه وأعدمت عند حريقها

ومما تؤاخذ عليه مطابعنا عدم وضع فهارس للكتب فيتشوّش الطلب على المطالع وتنكمش نفسهُ وينقبض صدرهُ . فضلاً عن انها اذا طبعت كتاباً كان قد طُبع في اوربا وذيّل بحواشٍ وفهارس وملاحظات مفيدة ، حذفت كل هذه الزوائد ، زاعمة انها فضلات ، مع ان لها المقام الاول في التأليف . وما ذلك الاّ لاننا نقصد السرعة في العمل للكسب لا لخدمة اللغة . واذكر انني رأيت « كشف الظنون » طبع اوربا وعليه تعاليق مفيدة ولهُ فهارس تقرّب على المطالع بعيد مطالبه . ثم رأيتهُ مطبوعاً في مصر والاستانة وليس فيه غير فهرس المواضيع . وكذلك كتاب « المعجب في تلخيص اخبار المغرب » فانهُ مطبوع في اوربا بتعاليق وفهارس ومجدَّد طبعهُ في مصر منذ بضع سنوات وليس فيهِ الاّ فهرس صغير جداً . وهكذا قل في رحلة ابن بطوطة وابن جبير وغيرهما وهذا مثلاً كتاب « حياة الحيوان الكبرى للدميري » المطبوع في مصر لا يفهم منهُ المطالع شيئاً ،

حتى يقرأهُ تباعاً صفحةً صفحةً . مع انهُ لو كلّف أحدٌ بدرسه ووضع فهارس لما حواهُ من المباحث الكثيرة في أعلام الحيوانات والتراجم والاقاصيص والفكاهات والاشعار والاسجاع ، لقربت الفائدة من مطالعته

ومع ذلك فقد رأيت قليلاً من الكتب المطبوعة في مصر قد ابقيت فهارسها مثل (طبقات الاطباء) لابن أبي أصيبعة وغيره

ولا يجب ان ننسى عناية كثير من المطابع المصرية والبيروتية في الاتقان والترتيب والنظافة . ولكن نحبُّ ان يعمَّ هذا السعي المحمود بيننا ترغيباً للمطالعين وتقريباً للاستفادات . وأهم ما نستلفت اليه المطابع اصلاح الاغلاط والتدقيق

(٦) التاليف — نريد بالتأليف ما يشمل وضع الكتب وتلخيصها او تعريبها . ونحن في أشد حاجة ماسَّة الى وضع كتب مدرسيَّة على نظام موحَّد، وكتب تهذيبيَّة ومعجمات غنية بالاوضاع والاصطلاحات والحدود العلمية ، معرضة عن الالفاظ المائتة والبذيئة . والى مؤلفات في العلوم الطبيعية كالفلك والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والكيمياء والفلسفة الطبيعية والطب والجراحة والصيدلة والنبات الخ . والى مؤلفات في العلوم الادبية كالاقتصاد السياسي وعلم الاخلاق والتربية والعمران وآداب السلوك والتاريخ وفلسفته والآثار القديمة وتدبير المنزل وتاريخ الاكتشافات والاختراعات

ومن أهم ما يجب التأليف فيه « تاريخ آداب العربية » فان للافرنج

كتباً كثيرة في هذا الفن . وليس بين ايدينا كتـاب وافٍ يبحث عن لغتنا وترقيها وانحطاطها

ومن أمثل ما يعلل عن تأخرنا في التأليف ، عدم اقبالنا على غير القصص والروايات. فهذه « نجعة الرائد » وضعها مؤلفها منذ عشرات من السنين ، ولم يباشر طبعها حتى آنس بعض الاقبال عليها والمساعدة في نشرها ، فمات قبل اتمام طبعها ، وطوي الجزء الثالث منهـا الى أجل غير مسمى . ومثلها كتاب « تنوير الاذهان في علم الحيوان » لزميله الدكتور بشاره زلزل الذي مات قبل ان يُتم بعض كراريس منه . ولو كان طبعهُ منذ اعوام لأنجزهُ بحياته ، واستفدنا من اوضاعه العلمية وفي هذين الكتابين غنىً للغة

ومما اذكرهُ من هذا القبيل انني وضعت منذ عشر سنوات ونيف كتاباً في تاريخ آداب اللغة العربية سميته « الطرف الادبية » وانفقت وقتاً طويلاً لجمعه من تضاعيف اسفار افرنجية وعربية ، وهو الى الآن مطويٌّ امرهُ وربما بقي هكذا الى يوم النشور

(٧) *المجامع العلمية* — عُرفت هذه الاجتماعات باسم الاكاديميات نسبة الى اكاديموس اول من انتبه الى البحث في الاجتماعات . واول من اسس مجمعاً علمياً افلاطون في القرن الخامس قبل الميلاد . وعقـد العرب سوق عكاظ ومربد البصرة لهذه الغاية . وعرفت الاكاديميات في اوربا في النصف الاول من القرن السابع عشر بعناية الكردينال ريشيليو ، وزير لويس الثالث عشر ملك فرنسا . ومن اللجان العربية « اللجنة العلمية

المصرية » أسسها نابليون سنة ١٧٩٨ م ولن تزال الى عهدنا . وانشأ الامركان في بيروت مع بعض المواطنين « الجمعية السورية » سنة ١٨٤٧ م فبقيت بضع سنوات وعطلت . وبعد سنة ١٨٨٠ أعيدت باسم « المجمع العلمي الشرقي » وعطلت ايضاً . ثم انشئت « الدائرة العلمية » في مدرسة الحكمة المارونية وعطلت . وسنه ١٨٩٣ انشأ المصريون مجمعاً لغوياً علمياً للبحث في الاوضاع العربية فقرروا فيه بعض الفاظ وتعطل . والى الآن لم يقم مجتمع علمي يسمى في الاوضاع والتعريب وحاجات اللغة . ولعل ادباءنا يسعون اليوم بسد هذه الثلمة اذا اجتمعت كلمتهم وتوحدت مبادئهم وانتخبوا اعضاءه من كل ملة ومشرب ووطن والاَّ فلا مجتمع عربي يذكره التاريخ في آدابنا العربية

(٨) المكاتب — المكاتب قديمة في العالم كثيرة النفع للغات . وقد اعتنى العرب بتأسيس كثير منها في ايام نهضتهم ، كمكتبة قرطبة ، ومكاتب بغداد ودمشق والقاهرة . ويذكر المؤرخون انهُ كان في صدر القرن الخامس للهجرة نحو سبعين مكتبة في الاندلس . ولقد اعدمت النكبات مكاتبنا ، وما بقي من نفائس المؤلفات حمله الافرنج الى بلادهم فاغنوا مكاتبهم بآثارنا . ولولا وجود المكتبة الخديوية بمصر وبعض مكاتب الاستانة ودمشق وفاس وبغداد وحلب وبيروت وطور سينا ، لكانت المكاتب عندنا اثراً بلا عين . على اننا في حاجة شديدة الى انشاء مكتبة عامة في احدى مدننا الكبرى تضم شتات المؤلفات الشرقية بقية الدارجين من قومنا ، فنستنسخها من مظانها ونجمع شملها ، فنحفظ كثيراً

من الكتب التي لا توجد الاّ نسخة منها في احدى المكاتب فاذا نكبت خسر العلم خسارة كبيرة . ويجب تنظيم جمعية لطبع الكتب النفيسة والتدقيق بمعارضة نسخها ومقابلتها كما فعلت شركة طبع الكتب المصرية في طبع « المخصص » لابن سيده في ١٧ مجلداً « وفتوح البلدان » للبلاذري وغيرهما

هذه السلم المثمنة الدرجات التي يمكن ان نصعد عليها الى قمة مجد اللغة وفي اعتقادنا ان المرتقي عليها لا يجب ان يترك درجة الاّ ويمر بها، لان الطفرة محال . والله يتولى من امورنا السداد، ويفتح لنا ابواب النجاح خدمة للغة التي تفتخر باننا نطق بضادها، بمنه وكرمه .

لبنان　　**عيسى اسكندر المعلوف**

الحرية

زرت صاحباً لي منذ ايام ، فالفيت لديه بلبلا سجينا في قفص ، يغرد نشيداً محزناً كأنه من قلب مزقه ألم الفراق ، ويضرب اسلاك سجنه بجناحيه آملاً ان يرى له مخرجاً من ذلك المضيق . ولم يزل يغرد شاكياً ويصيح باكياً ، ويتنقل في قفصه بسأم ، ويضرب الاسلاك بالم ، حتى اخذ منه التعب مأخذه فانساه طريف التعب تليد الاسر .

وقد زرت صاحبي هذا اليوم . فوجدت القفص خالياً من الفريد . فسألته عنه ، فانبأني انه قد انتحر .